ما كتبه هرتسل في مذكراته
عن مقابلته السلطان عبد الحميد الثاني
وحديثه عن دعم الدولة العثمانية مالياً*

١٩٠١/٥/١٨

قلت له بواسطة إبراهيم اني أكرس نفسي لخدمته لأنه يحسن الى اليهود. واليهود في العالم كله مدينون له بذلك. واني بشكل خاص مستعد لتأدية أية خدمة له وخاصة الخدمات الكبيرة (يوجد كثيرون لأداء الخدمات الصغيرة) وأكدت له اني لا أنوي نشر أي شئ عن اجتماعنا الحاضر. بإمكانه أن يتحدث الى بثقة مطلقة. فشكرني وقال اني دائما صديق لليهود والواقع اني لا أعتمد إلا على المسلمين واليهود لا أثق الثقة نفسها برعاياي الآخرين.

فرثيت المظالم التي نعانيها في العالم وقال إنه حافظ دائما على إبقاء إمبراطوريته مفتوحة أمام اللاجئين اليهود كملجأ لهم.

قلت عندما أبلغني الأستاذ فامبرى بأن جلالته سيتفضل باستقبالي أخذت أفكر بقصة أندروكليس والأسد القديمة الجميلة. فجلالتكم هو الأسد ولعلني أنا أندروكليس وربما كانت هناك شوكة يجب سحبها .. الشوكة هي الدين العام. إذا أمكن إزالتها تمكنت تركيا من استعادة نشاطها وحيويتها.

فتنهد وابتسم وهو يتنهد وترجم إبراهيم: منذ أن بدأ عهد جلالته المجيد وجلالته يسعى عبثا لإزالة هذه الشوكة التي غرزت في عهد أسلافه العظام والتي يبدو أن من المستحيل الخلاص منها ولا أحسن من أن أسهم أنا في المساعدة إن أمكن.

قلت حسنا إذن أظن أني أستطيع الإسهام لكن الضرورة الأولى هي السرية المطلقة.

رفع السيد عينيه إلى السماء ووضع يده على صدره وأخذ يتمتم انه سر.. إنه سر.

---

* **المصدر:** "ملف وثائق فلسطين: مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية، الجزء الأول من عام ٦٣٧ إلى عام ١٩٤٩" (القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٦٩)، ص ١٢٩ – ١٣١.

قلت إن إلحاحي هو لأن الدول التي تريد إضعاف تركيا سوف تسعى جهدها لمنع استعادتها نشاطها. ولذلك ستسلك كل سبيل لمنع هذه العملية وقلت اني أريد تنفيذ العملية بواسطة أصدقائي في كل دور البورصة في أوروبة شرط موافقة جلالته. غير أنه لما يحين الوقت يجب أن تأخذ الموافقة شكلا خاصا في مصادقة اليهود ويجب إعلانها في شكل مناسب.

ترجم إبراهيم كلمات سيده بوجه حبور: لجلالته جوهري يهودي. قد يقول له شيئا مناسبا لليهود ويأمره بأن ينشره في الصحف. ولجلالته أيضا حاخام أكبر لليهود، حاخام باشي. قد يقول له أيضاً شيئا مماثلا، فاعترضت على ذلك، تذكرت أن الدكتور ماركس أخبرني مرة أن حاخام باشي بصق مرة لدى ذكر اسمي. فقلت "كلا لن يخدم ذلك مقاصدنا. لن تذاع على العالم بشكل يخدمنا. سأسمح لنفسي فيما بعد بأن أشير على جلالته اللحظة التي نستطيع فيها الإفادة منها. أريد أن أعبئ مشاعر اليهود الإيجابية للعمل في سبيل الامبراطورية التركية لذلك يجب أن يكون للإعلان صفة الأمر. أما الكلام مع حاخام باشي فيبقى في تركيا وحدها فقط.. كل ما تحتاجه هذه البلاد الجميلة هو المهارة الصناعية لشعبنا يغتني الأوروبيون الذين يأتون عادة إلى هنا بسرعة ثم يخرجون بسرعة بغنائمهم "للوسيط حق الربح الأمين بالطبع لكن عليه أن يبقى بعد ذاك في البلاد حيث جمع ثروته".

هز السيد برأسه موافقا وقال لإبراهيم ما أعاده على فرحا: لا يزال يوجد في بلادنا ثروات غير مستثمرة. اليوم فقط تلقى جلالته برقية من بغداد باكتشاف حقول نفط فيها أغنى من حقول نفط القوقاز. وإذا كنت سأبقى هنا مدة كافية فإن جلالته يؤد أن ألقي نظرة على المناطق التي تمتد فيها سكة حديد الأناضول فالأرض على جانبي السكة مثل جنة. وهناك أيضا حديد خام ومناجم ذهب وفضة كان الذهب في عهد أسلاف جلالته العظام يستخرج ويسبك في سبائك ويصاغ في عمله وبهذه الطريقة كانوا يدفعون للجنود رواتبهم.

والواقع إني لاحظت أن السيد حينما كان يتفوه بكلماته الأخيرة كان يقيس في الهواء إلى مسافة معينة بكلتى يديه. الظاهر أنه قصد بها أحجام قضبان الذهب الصغيرة.

ثم حصل شئ مفاجئ طلب مني السيد بواسطة إبراهيم أن أوصي له ماليا ما يقدر له أن ينشئ موارد جديدة للبلاد: مثلا ضرائب غير باهظة جدا من نوع ضرائب الكبريت. هذا البرهان على ثقته فيَّ أرضى غروري. لكني قلت أن الأمر ينطوي على مسئولية كبيرة علي لأني لمهمة من

هذا النوع لا أستطيع أن أذكر إلا من أثق بكفاءاته وأخلاقه. لكني قلت إني أفضل أن أنظر في المسألة وأن أعلم جلالة السلطان بمجرد أن أعثر على الرجل المناسب. وبالمناسبة فكرت بأن الرجل يجب أن يدرس الوضع الاقتصادي في السر فقط ويقدم نتائجه الي وعلى أساس هذه المعلومات أستطيع أن أصوغ برنامجي للإصلاح الاقتصادي لكن السيد كان له رأي آخر أنه يفضل أن يعطي الرجل مركزا رسميا لأن ذلك يثير انتباها أقل. يجب إلحاقه بوزارة المال كمدير عام ويقدم لك التقارير الدورية فاعترفت بسلامة هذه الفكرة وسألت كيف سأرسل رسائلي إلى جلالته . هل أحتاج إلى علامة أو ختم خاص لذلك ؟

قال جلالته بواسطة إبراهيم أن ختمي يكفي أن الرسائل التي تحمل ختمي سوف تسلم رأسا إلى جلالته بواسطة تحسين بك.

ثم انتقل السيد إلى مشروع تصفية الدين العام المعلق وقد شرح لي المشروع: تألفت التصفية من عقد دين جديد بدل القديم مما يوفر مليونا ونصف المليون جنيه لمواجهة عجز السنة الماضية.

ماذا؟ هذه الكمية فقط؟ وأبديت دهشة حزينة وكذلك فعل السيد ورجوته أن أعلم كل شئ عن مشروع التصفية لأحكم ما إذا كان يجب المضي فيه. فقد تكون التصفية جيدة وقد لا تكون. علي أول أن أعرف تفاصيل الخطة. فأمر جلالته بتلبية طلبي . سيعهد إلى أحدهم بإعطائي المعلومات اللازمة.

واستأنفنا الحديث من موضوع إلى آخر. وقد أثرت اهتمامه. وعرضت عليه برنامجا للمستقبل بخطوطه العريضة حول كل ما يمكن فعله في هذه المدينة الرائعة وفي الامبراطورية وحتى أحصل لهما على أوسمة ذكرت رفيقي ولفسون ومرمورك اللذين يمكن الإفادة منهما: يمكن إنشاء مصادر جديدة للدخل كاحتكار للقوى الكهربائية مثلا. فأخبرني جلالته بواسطة إبراهيم أنه يوجد في القصر مولد كهربائي وأن جلالته مسرور من النور الكهربائي فهو أفضل من الأنواع الأخرى من النور.

ثم تحدثت عن إمكانات تحسينات أخرى في المدينة مثلا جسر جديد لاسطنبول مرتفع لدرجة تمر تحته أكبر السفن إلى ميناء القرن الذهبي (وهي فكرة مرمورك) إلا أن جلالته رجاني أن أصرف النظر عن هذه المشاريع حاليا وأن أشغل نفسي أولا بإزالة الدين العام.

وكنت قد استنفذت قواي لابد أن المحادثة امتدت أكثر من ساعتين لقد حكت الخيوط كما شئت وتأكدت أنه يود أن يسمع تفاصيل أخرى مني لذلك جعلت الحديث يسترخي. والسيد أيضا لم يعد يجد شيئا يتحدث عنه وبعد لحظة صمت وقف وأعطاني يده. وردد: إنه سر.. سر..

بعد ذلك طلبت تصريحا لصالح اليهود أعين موعده فيما بعد. (وكنت أفكر بالمؤتمر). وأخيرا طلبت عرضا مفصلا للوضع الاقتصادي ولمشروع التصفية. فوعدني بذلك كله.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbrt@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه الوثيقة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx